

المرأة بين فروغ فرخزاد و غادة السمان

علي پیرانی شال^{١*}، سعیده سادات موسوی^٢

١. استاذ مشارك بجامعة خوارزمي

٢. طالبة في مرحلة الماجستير بجامعة خوارزمي

(تاريخ الاستلام: ١٤٣٥/٤/٥؛ تاريخ القبول: ١٤٣٥/٧/١٢)

ملخص المقال

قد أهملت حقوق المرأة في بعض المجتمعات الشرقية حيث كانت نفسها تابعة لكل ما يُقدّر لها إلى أن بادرت ببعض الحركات التحريرية في الأدب و قدّمت احتجاجاتها فيه لكي تفتح طريقاً للوصول إلى آمالها. فتعتبر الأدبية الشاعرة الإيرانية فروغ فرخزاد الصوت الأول الأنثوي في بلادها، كذلك لم يكن شأن نظيرتها السورية؛ غادة السمان بأقلّ منها، حيث كانتا معروفتين بأرائهما النسائية و قيامهما بالدفاع عن حقوق المرأة في ظلّ مجتمعها الذكوري على شكل تعابير صريحة عن أحاسيسهما و علاقاتهما الودية في أشعارهما. فتكون أشعارهما مرآة صادقة عن حياتهما الاجتماعية، إذ تصوّر استعباد المرأة من قبل المجتمع، و عدم تواجدها البيّنة فيه، كما ترسم صورة نقدية عن حياة المرأة الساذجة و البسيطة و تمسّكها بالأفكار الخرافية و بعدها عن الأحداث الرئيسية.

الكلمات الرئيسية

الأراء النسائية، المرأة، غادة السمان، فروغ فرخزاد، المجتمع الذكوري.

مقدمة

إنَّ بعض التحوّلات في البلدان الشرقية والإسلامية كهجمات الصليبيين الغربيين و استعمارهم و بالتالي تأخير هذه الدُول أدّت إلي هبوط أسهم المرأة و تهميشها و تقييد حقوقها كالتعليم و التعلّم و ... فألقي اللوم علي الإسلام و الحال أنه قد منح المرأة حقوقها الكاملة، فكان لدى كل من بذلوا قصاري جهدهم في فضّ مشاكل المرأة و ما يمنعها من تطوير، اتّجاهات مختلفة من الإسلامية أو الغربية.

فنظراً إلي هذا نعود إلي الحقبة الزمنية التي ضمّت حياة الشاعرتين؛ فروغ فرخزاد (١٩٣٥) و غادة السمان (١٩٤٢) فكان المجتمعين الإيراني و السوري شديديّ التحفّظ حيث كانت المرأة ليس لها حضور بارز حتي ذلك الوقت و الشاعرات كان شعرهن خجولاً و مؤدّباً إلي أن أتت الشاعرتان و اخترقتا ساحة الشعر بتخاطبهما الرجل خطاباً مباشراً لكي يكون عملهما إثارة الشجاعة في النساء، فأقامتا جدلاً كبيراً في الأوساط الأدبية بجرأتهم الغيرألوفة ولكنهما لم يتخليا عن الساحة و استمرّتا في الطريق، و ضمن إطار ذلك دافعتا عن حقوق المرأة الضائعة و تحدّتا الآلام التي تعانيتها.

فلا بدّ أن نسترعي النظر في القواسم المشتركة بين الشاعرتين للدراسة التطبيقية للوقوف علي تقارب افكارهما أو تباعدها، حسب ما تتوافر لهما من الظروف الإجتماعية و السياسية؛ و أمّا هذا المقال -خلافاً علي المقارنات الأخرى- يُحاول التركيز علي توجيه الشاعرتين بالمرأة و الحواجز التي تسدّها عن الوصول إلي مطلوباتها و تطويرها، و جديرٌ بالإشارة ما طرق باب الموضوع هذا الباحثون عربياً كان أو إيرانياً إلّا أنّ بعض الباحثين الإيرانيين قد استخدموا أشعارَ غادة السمان المترجمة إلي الفارسية و كتبوا بين حين و آخر عن غادة السمان و بعض ما يرتبط بها دون أيّ مراجعة إلي أشعارها العربية؛ هذا ما بعثنا أن نعتني في هذا المقال نفس تلك الأشعار العربية و نستنبط آراء الشاعرة تجاه المرأة منها ثمّ نقارنها بآراء الشاعرة الإيرانية التي قد استنبطناها أيضاً من أشعارها. ففيما يلي نلقي الضوء علي لمحة من حياة الشاعرتين:

فروغ فرخزاد

ولدت أديبتنا في ١/٥/١٩٣٥ م، في طهران وهي الرابعة من بين الأشقاءها كان أبوها ضابط جيش يُضفي علي أولاده القسوة و الإستبداد. بدأ الإلهام الشعري يزور فروغ وهي في السادسة من العمر، درست المراحل المتوسطة ثم اتّجهت الى مدرسة الفنون لتعلم الرسم و الخياطة. تزوّجت فروغ ببيروز شابور وهي لم تتعد السادسة عشرة، ثم انتقلت إلي الأهواز و أنجبت طفلها الوحيد ولكن عادت سريعاً إلي طهران بسبب الخلاف الذي وقع بينهما و تطلّقت و لم يستمرّ زواجها أكثر من سنتين، استمرت في قول الشعر و الكتابة و زارت أوروبا و تعلّمت اللغتين الألمانية و الإيطالية و قامت بترجمة الشعر ثم التقت بالقاصّ الإيراني ابراهيم كلستان و استخدمت في منظّمة «كلستان» في الرابع و عشرين من عمرها و انغمست في العمل الشعري و المسرحي و السينمائي حتّي خطفها الموت إثر حادث سير مروّع بعد أن اصطدمت بجدارٍ عندما حاولت أن تتجنّب عربة قادمة وهي في عمر الثانية و الثلاثين. تركت فروغ مجموعات الشعرية: أسير، عصيان، ديوار، تولدي ديكر و المجموعة الناقصة: ايمان بياوريم به آغاز فصل سرد. (مترجم من المجلة الشهرية «فردوسي» ص ٩٥ و ٩٤).

غادة السمان

غادة السمان كاتبة و أديبة سورية ولدت سبع سنوات بعد ولادة الأديبة الإيرانية عام ١٩٤٢ في دمشق، من أبوين سوريين، توفيت والدتها الأديبة سلمى رويحة، وهي ما تزال طفلة، كان أبوها الدكتور أحمد السمان رئيساً للجامعة السورية و وزيراً للتعليم في سوريا و كان له الدور الأهم في تكوين شخصيتها المبدعة التي جمعت أكثر من لقب شاعرة، ناقدة، قاصّة، روائية، فأهدت غادة مجموعتها القصصية الأولى «عيناك قدرتي» لوالدها، مؤكدة علي دوره في تربيتها و تعليمها من خلال الإهداء. (مشكين فام، ص ١٩٥) نالت إجازة الليسانس في الأدب الإنجليزي من الجامعة السورية. ثم حصلت علي شهادة الماجستير في الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٦٤ م و استمرت دراستها في مرحلة الدكتوراه في لندن، ولكنّها لم تنجز أطروحتها و انشغلت عن ذلك برحلات ثقافية إلي أوروبا لاكتشاف الفن و الموسيقى و

الأدب (المرجع السابق ص ١٩٨). عملت في الصحافة وشاركت في مجلة «الحوادث» ككاتبة لعمودها الشهير «لحظات الحرية» (مدني، ص ٧٢ و٧١). تحولت غادة السمان إلي كتابة الشعر الحرّ بعد تجربة طويلة في ميدان الكتابة النثرية، فأصدرت مجموعتها الأولى «حب» سنة ١٩٧٣، (مشكين فام، ص ٢٠٤) أسست دار نشر «غادة السمان» عام ١٩٧٧ وبادرت بنشر آثارها الأدبية فيها، تزوجت عام ١٩٦٩ بالدكتور بشير الدعواق وولدت ابنها الوحيد حازم. من آثارها الشعرية الأخرى: أعلنتُ عليك الحبّ، الحبّ، أشهد عكس الريح، الأبدية لحظة حب، رسائل الحنين إلي الياسمين. (مدني، ص ٧٢) وهي لا تزال تستمرّ في قول الشعر والأعمال الأدبية.

١. نظرة الشعراء العابرة إلي المرأة

هناك الكثير من الشعراء والشاعرات قد اعتنوا بشأن المرأة؛ فمنهم من نهج منهج المبالغة في الدفاع عن المرأة وما يرتبط بها و أغمض عينيّه أمام ما منحها الدين والمجتمع من الحق ونظراً إلي الموضوع نظراً سلبياً فقط فرفع لواء الدفاع عنها في غضون كلماته و عباراته و أزال الستار عما اختطف الرجل من حقوقها معتقداً أن كل ما تراه المرأة بين يديها هو العبودية والضعف و ما إلي ذلك و منهم من اعتقد أنّ المرأة قد حصلت على ما تستحقّ أن تمتلكه معتقداً أنّ الدين والمجتمع قد منحها ما منح الرجل من الحقوق فلا فرق بين الرجل والمرأة في الموضوع.

ربّما كانت فروغ فرخزاد و غادة السمان من الفريق الأوّل، إذ تصرخ كلمتهما في غضون الأسطر الشعرية بين حينٍ و آخر عما سلبه المجتمع و الرجل من حقوق المرأة بينما هي تمنحه حبّها الصادق الذي تحمله بين جوانبها و لوعة عشقٍ تجيش في صدرها الحنون، كلّ ذلك لما يري الرجل من القدرة و السيطرة علي المرأة، السيطرة التي منحها المجتمع له أو... ففيما يلي يبحث المقال هذا عن نظرة الشاعرتين في شأن المرأة معتمداً علي ما جاء في دواوينهما من الأشعار التي ترتبط بموضوعنا هذا:

١٠١. استعباد المرأة

إنّ المشكلة الهامة التي تواجهها المرأة في منظار الشاعرتين علي وجه التقريب هي نظرة الرجل التملكية التي تختلف بفارق كبير مع نظرة المرأة العاطفية. فهي تمنحه حبّها الصادق فلا تأخذ مقابل ذلك إلّا سراياً فعندئذ تشعر بالاستبعاد، إذ تستوجب ضرورة الحب أن يكون سلسلة ثنائية الجانب و إن لم يكن كذلك فهي قلّادة في عنق الرقيق. فتقول غادة السمان:

«حين وصلت إلي جزيرتك،
وجدتها سرايية ومُكهربة...
وتحوّل صوتي إلي فقاعات...
وجسدي إلي أعشاب بحرية قاتمة
التقت حولي كقيد...
زحفتُ إليك في سراييب الحمي،
عبر القارات السبع لبراكينك...
فملاّت حنجرتي المشتعلة حبّاً

برماد شهيتك لإذلالني وامتلاكني...» (السمان، أشهد عكس الريح، ص ١١).

وإنّ فروغ تعدّ الحبّ سراياً - في اعتقاد مشابه- و تعتقد أنّ حلقة الزواج طوّقت عليها طوق العبودية بعد أن تركتها متحيّرةً والهةً:

«تجلّت حرقّة حبّك
بينَ عينيك لحظةً
فصارت صورةً علي الماء

عندما رأتنِي والهَيَّةَ و مُضطربَةً^١ (فرخزاد، ص ٥٤)

«جاش الهمَّ في ذهنها فصاحت:

آه، هذه الحلقة المتلألئة

التي لاتزال تبهر البصر

ليست إلَّا حلقة العبودية»^٢ (فرخزاد، ص ٩٧)

٢.١. النشاطات الإجتماعية و مغايرتها مع الأعمال اليومية

فيما يبدو من قراءة أشعار الشاعرتين أنَّهما تشعران بأن المرأة فقدت الحيويَّة و النشاط في مجتمعها و ليس لديها دورٌ أساسي في القضايا الاجتماعية؛ فلا يُقبَل علي المرأة النشيطة أن تسبح ضدَّ التيار الرَّائج فتشبهان المرأة بالماء الخاضع أو الراكد، الذي يستحقُّ الحياة بينما حياته رهينةٌ بجريانه و حركته؛ فتقول فروغ إنَّ المرأة في هذا المجتمع تتصوَّر و تتوهَّم أن لها حقُّ في الحياة، بينما تعيش في الحُمق و الجهالة كالماء الراكد و هل يخيَّل إلي أحد أن يكون للماء الساكن حياةً نشيطةً و روعةً خلَّابة :

«اعذروها

إياها، فهي تنسي مؤاصرتها

و المياه الراكدة و الحفريات الخالية أحياناً

و تظنُّ أنها تستحقُّ الحياة بلاهة»^٣ (فرخزاد، ص ٢٤٨)

١. بالفارسية: «آتش عشق به چشمت يك دم/جلوه ای کرد و سراپی گردید/تا مرا واله و بی سامان دید/نقش افتاده بر آبی گردید.»

٢. بالفارسية: «زن پریشان شد و نالید که وای/وای این حلقه که در چهره ی او/باز هم تابش و رخسندگی است/حلقه ی بردگی و بندگی است.»

٣. بالفارسية: «بر او ببخشاید/ به او که گاه/ پیوند دردناک وجودش را / با آب های راکد و حفره های خالی از یاد می برد/ و ابلهانه می پندارد که حق زیستن دارد.»

و أما غادة السمان ترفع راية مكافحة عنيفة ضدّ المجتمع الذكوري فتظهر الحديث عن
تبدّلها بشلالٍ يُحطّم الموانع و أنهارٍ تُزيل السدود و الحواجز التي في طريقها لتُلقى الضوء
علي حقيقتها لِمَن يجهل قلبَ المرأة العاشقة:

«قيل لي،

أنك اخترت أن تركب حصانين

في آن معاً،

...

عذبةٌ كنتُ معك، بسيطةٌ و قروية

كالنساء في ساقية متواضعة...

و اليوم أتحوّل إلي إعصار

محموم المطر...

إلي شلال مجنون،

و أنهارٍ تُحطّم سدودك و تجتاح¹ دنياك

دون أن أخون حقيقتي،

أو أتبدل حقاً...

من لا يفهم تحولات الماء

يجهل قلب المرأة العاشقة.» (السمان، أشهد عكس الريح، ص ٥٣)

يدلّنا ذلك بأنهما تجدان أمام المرأة سدوداً كثيرة تمنع مسيرتها التكاملية كالتحديات غير
المبرّرة و التعصبات اللامجدية السائدة، و ليس هذا فحسب بل الأعمال اليومية كذلك - في رأي
الشاعرتين - تمنع المرأة من الوصول إلي القمم العالية فتجرّها نحو الجمود، عندئذ تغضب

١ . الجائحة السنّة الشديدة تجتاح الأموال، فيقال: اجتاح العدو مال فلان إذا أتى عليه. (راجع لسان
العرب المجلّد الثاني، ص ٤٣٢)

فروغ من الأعمال اليومية قائلة أنّها هي السبب الرئيسي لانحطاط المرأة الفكري:

«أين القمة و أين السمو؟»

احميني آيتها المواقد الساخنة المندلعة، آيتها النعال للسعادة،

و آيتها الأغاني للأوعية النحاسية في اسوداد المطبخ

و آيتها الأناشيد المكتتة للمكنات

و آيتها المجادلات اليومية بين السجاد و المكنسات»^١ (فرخزاد، ص ٢٩٥)

بينما تعبر غادة السمان عن الموضوع نفسه بأنّها تستيقظ صباح كل يوم من النوم بريئة كلحظة ولادتها متصلة بأسرار الكون و الخلقة لكن التفاصيل اليومية و الروتينية المرعبة تمنعها من الحصول علي هذه المعارف و الأسرار الإلهية:

«أستيقظ

متفجرة و بريئة كلحظة ولادتي، متصلة بأسرار الوجود و الينايع

صباح الخير آيتها التفاصيل اليومية المرعبة...

لتقطعين بسكين المطبخ

حبل الخلاص الذي يربطني إلي البحر و الغابة

الموت و الدهشة

و نهر الأسرار و المعارف الكونية.» (السمان، أشهد عكس الريح، ص ٥٨)

٣.١. النظرة التهكمية علي بساطة المرأة

إنّ نظرة الشاعرتين النقدية لا تنحصر علي معاملة المجتمع المرأة فحسب بل إنّها تتوجّه للمرأة نفسها إذ هي تخضع لبعض أفكارها الساذجة أحياناً ، بينما حقيق لها أن تتعرّف

١ . بالفارسية: «كدام قلّه كدام اوج؟/مرا پناه دهيد اي اجاق هاي پر آتش- اي نعل هاي خوشبختي- او اي سرودهاي ظرفهاي مسين در سياهكاري مطبخ/و اي ترنم دلگير چرخ خياطي/و اي جدال روز و شب فرش ها و جاروها».

علي حقوقها و تستهدف الحضور في أحداث المجتمع الهامة ؛ فإن فروغ تقدم لنا صورة تهكمية عن المرأة و أفكارها البسيطة، في هيئة أمها التي تتمسك بالخرافة و أختها التي ليس لها مشغلة إلا الإنجاب:

«أمي؛ حياتها

سجادة مفروشة

في سماء رعب جهنم

و تبحث في باطن الأشياء عن

أثر قدوم المعصية دوماً

و تظنّ الحديقة دنسها

جحدُ معصيةٍ

...

و أختي التي كانت مُحبةً للورود

...

تُعني بالأنغام الزائفة

و تصنع الأولاد الطبيعية

هي كلما تزورنا

و تلطّخ جوانب ثيابها بفقر الحديقة

تستحمُّ بالعطور

هي كلما تزورنا

تكون حُبلى»^١ (فرخزاد، ص ٣٥٣ و ٣٥٤)

١. «مادرم تمام زندگیش / سجاده ایست گسترده/ در آسمان وحشت دوزخ/ مادر همیشه در ته هر چیزی/ دنبال

و تعتقد نظيرتها السورية بأن المرأة البسيطة لا تعرف حقوقها كما هي، و تري دافع هذا الأمر هو بُعد المرأة عن عالم التفكير، كأنّ حقوقها تنحصر علي الأكل و الشرب و الإنجاب و الموت؛ هذا ما بعث شاعرتنا تبحث عن حقوقها في كتابة ما يجيش من الشعر في صدرها:

«حين سقطتُ علي هذا الكوكب

اكتشفتُ أنّ حقوقي

لا تتعدّي علي الأكل و الشرب و الإنجاب و الموت

فقررتُ أضيف إليها حقّي في الطيران

أكتبُ أكتب..» (السمان، الأبدية لحظة الحب، ص ٣٤)

و في موضع آخر تظهر تعجبها من انصياع المرأة نحو تعدّد زواج الرجل:

«بينما كنتَ أنتَ مشغولاً

بقطف رأس امرأةٍ أخرى... لم أشعر بالغيرة

بقدر ما وعيتُ عظمة حماقتي» (السمان، أشهد عكس الريح ص ٢٥)

أو تقول:

«في أيّ غُرف بيتك تقع صُور حبيبائك

لأعلقَ لهن الأزهار و زينات العيد؟

اعذرنِي...حبيّ لك غير متحضر...

يجهل الغيرة و شهية التملك...

إنّه عفوي، بدائي، ساذج، بسيط، كالمطر» (السمان، غادة، أشهد عكس الريح ص ٤٥).

جای پای معصیتی می گردد /و فکر می کند که باغچه را کفر یک گناه/ آلوده کرده است.../او خواهرم که دوست گل ها بود.../آوازه های مصنوعی می خواند/و بچه های طبیعی می سازد/او هر وقت که به دیدن ما می آید/و گوشه های دامنش از فقر باغچه آلوده می شود/حمام ادکلن می گیرد/او هر وقت که به دیدن ما می آید آبستن است.»

٤.١. تجرّء المرأة عن طريق التعابير الصريحة

إنّ التقاليد الرائجة في المجتمعات الشرقية لا تترك للنساء حرّيتها في التعابير عن أحاسيسها و عما يجيش في قرارة نفسها. فوقفت الشاعرتان في وجه جميع التقاليد كمثلتين عن المرأة و حملتا التعارض عن طريق لسانهما الشعري و في قوالب التعابير الصريحة و المباشرة بذلتا الجهود لكي تحرّضا المرأة علي إظهار حبّها و خلجاتها النفسية دون أي خوف.

فغادة السمان تظهر الحديث عن انحباس المرأة عبر القرون المتوالية، قائلةً إنّ حنجرتها مليئة برمال عصور من صحاري الصمت لكنّها تصرخ كرعِدٍ لِيُتَبَدَّى تمردها عن إستمرارها لحركة أسلافها بإظهار حبّها صراحةً^١:

«حنجرتي محشوة برمال عصور

من صحاري الصمت...

لكنني أصرخ رعداً، أحبك

لا تخرّج من دمي...

طموحي إليك شاسع و متجدد

و مع حبك

القناعة كنز لا يفني...» (السمان، غادة، أشهد عكس الريح، ص ٢٩).

و تعارض فروغ الرجال عندما لا يسمح لها أن تتحدث كلمة عما في قرارة قلبها، فهي تقبلعلي نفسها نار الجحيم، لكي تنال ما تروم، ثم تتحدّث عن عشاقها المصطنعة من

١. اجترحت غادة السمان شعارها، بالكشف عن علاقاتها الودية التي تربط بينها و بين الأديب الفلسطيني «غسان كنفاني» بإصدار رسائله لها، معتبرةً تتمنى أن يكون إصدار هذه الرسائل، لطمأ قاسياً للخوف و الرعب الذي تعيشه المرأة و يحرض النساء على التعاطي الإيجابي مع الحياة بلا خوف (راجع: السمان، غادة، محاكمة حب، ص ٥٨).

النسيم و القمر و هي الآن تُقبِلُ الصَّبَا و الشمس آلاف قُبْلَةً لأنَّها أبادت حياتها قبْلَةً واحدة سابقاً من ناحية رجل قد خيَّبَ آمالها كلها بحيث صارت ترجو أن تأوي الى بيتٍ من النار:

«لا تضع علي شَفَتِي قفلَ الصمت

عليَّ إباحةً اسراري

عليَّ أن أنبئه العالم

إلي صَدَي التهاب أنغامي

...

لا تعتبر شعري ذنباً

إعطني كأساً من هذا الخزي و الإثم

و الجنة و الحور و ماء الكوثر كلها لك

و هبني بيتاً في غور الجحيم

...

عندما يرقص القمر في الليل الدُّجي

فارغ البال غضونَ صمتِ السماء

و عندما تنام، أغرق في الهوي

أحتضن القمر

أقبِلا النسيم ألف مرّة

و أعطني الشمس آلاف قبْلَةً

فأبادتني قُبْلَةً واحدة

في ذا القفص الذي كنت حارسه»^١ (فرخزاد، ص ٥٠ و ٤٩).

١. بالفارسية: «به لبهايم مزن قفل خموشی/که من باید بگویم راز خود را/ به گوش مردم عالم رسانم/ظنین

٥.١. المرأة في مرآة الآراء الغربية

بينما أتقنت الشاعرتان استيعاب و تمييز ما تعانيه المرأة في مجتمعهما و مع أنهما ترعرعتا في بلاد إسلامية من المؤسف أنهما قد أخطأتا في معالجة الموضوع و تقويم الحلول لتخليص المرأة من مشاكلها و ظننا أن الحرية المطلقة و الإبتعاد عن القيود الإجتماعية هي ما تداوي آلامها فانحرفتا نحو الآراء الغربية؛ فتعرض بوضوح اشارات ملونة بألوان غريبة في أشعارهما؛ و الحال أن الحضارة بلغت في الإسلام إلى ذروتها و اكسبت المرأة منزلة رفيعة وهذا ما أكده كثيرون من الشعراء في أشعارهم؛ ففي هذا السبيل تأتي هنا بأبيات من أمير الشعراء أحمد الشوقي كمثال علي ذلك:

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ، لَمْ	لِيُنْقِصَ حَقُوقَ الْمُؤْمِنَاتِ
الْعِلْمُ كَانَ شَرِيعَةً	لِنِسَائِهِ الْمُتَفَقِّهَاتِ
رُضْنُ التَّجَارَةِ، وَ السِّيا	سَةِ، وَ الشُّنُونُ الْأُخْرِيَاتِ
وَ لَقَدْ عَلَّتْ بَيْنَاتِهِ	لُحُجَّ الْعُلُومِ الزَّاخِرَاتِ
كَانَتْ سُكِينَةٌ تَمَلَأُ الدِّينَ	يَا، وَ تَهْزِءُ بِالرَّوَاةِ
رُوتَ الْحَدِيثِ، وَ فَسَّرتْ	أَيَّ الْكُتُبِ الْبَيِّنَاتِ
وَ حَضَارَةَ الْإِسْلَامِ تَتَمَلَأُ	طُوقَ عَن مَكَانِ الْمُسْلِمَاتِ

(شوقي، ج ١، ص ٨٦)

نري- مع ذلك- فروغ متأثرة بالآراء التغريبية؛ فتبين عدم ثققتها بالزواج الرسمي و تدعو إلى العلاقات الحرة معتبرة بأنه أداة ظلم علي المرأة، فإن الحرية الكاملة تتحقق عندما تُترك الملاحظات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية (مختاري، ص ٥٩١):

آتش آواز خود را/.../مگو شعر تو سر تا پا گنه بود/از این ننگ و گنه پیمانهای ده/بهشت و حور و آب کوثر از تو/مرا در قعر دوزخ خانه ای ده/..شبانگاهان که مه می رقصد آرام/میان آسمان گنگ و خاموش/تو در خوابی و من مست هوسها/تن مهتاب را گیرم در آغوش/نسیم از من هزاران بوسه بگرفت/هزاران بوسه بخشیدم به خورشید/در آن زندان که زندانبان تو بودی/شبی بنیادم از یک بوسه لرزید»

١. رُضْنُ: مَنْ راض الشيء أى ذلله. (راجع مجمع البحرين، المجلد ٤، ص ٣١١).

«لا حديثَ عن الوصلِ الفاترِ بينِ اسمين
و المعانقةِ في الأوراقِ الباليةِ لسجلِّ الزواجِ
بل إنّما الحديثُ هو عن خصيلةِ أشعاريِ السعيدةِ
و شقائقِ قُبلتكِ المحترقةِ
و صداقةِ أبدانناِ المجردةِ خلفِ الأستارِ
و إشعاعهاِ كفلوسِ الأسماكِ تحتِ المياهِ»^١ (فرخزاد، ص ٢٩٧).
كما ترى المرأةِ المحجّبةِ مكبّلةً بالأغلالِ كأنَّ الحجابِ يمنعها من التحركِ:
«كانت البيوت غيرمألوفةِ الألوانِ
مغبرة، قائمة، متضابطة
و الوجوه المحتجبة خلفَ الدُّر كالأرواحِ المكبّلة»^٢ (فرخزاد، ص ٢٠٢).

و في موضعٍ مشابه، تُجيزُ عادةُ السمان - وهي متأثرة أيضاً من الآراءِ التغريبية- للمرأةِ
أن تحبَّ رجلين متزامناً، فتقول في إحدى مقابلاتها الصحفية: «كيف بوسع الذكّر أن يفضّل
من جلد النساءِ عباءةً و ينسي أسماء حبيباته لكثرتهن دون أن يضايق ذلك الآخرين، فارتونا
ذلك بالهياج الذي يسببه مثلاً إعراف كاتبةٍ ما بأنّها أحبّت أكثر من رجل واحد في حياتها!»
(السمان، محاكمة حب، ص ٥٥). إضافةً علي ذلك تحدّثها عن الخيانات المتبادلة بين المرأةِ
و الرجل، وثيقة قاطعة عن هذا الإدعاء:

١. بالفارسية: «سخن از پیوند سست دو نام/و هم آغوشی در اوراق کهنه‌ی یک دفتر نیست/سخن از گیسوی
خوشبخت منست/ با شقایق‌های سوخته‌ی بوسه‌ی تو/و صمیمیت تن هامان، در طرّاری/و درخشیدن عربانی
هامان/مثل فلس ماهی‌ها در آب.»

٢. بالفارسية: «خانه‌ها رنگ دیگری بودند/گردآلوده، تیره و دلگیر/چهره‌ها در میان چادرها/همچو ارواح پای در

«أجمل ما في حُبنا؟»

خياناتنا المتبادلة

فهي، تقربنا

عبرها نعي وحشتنا في غابة المرايا و العشاق،

و يركض كل منا إلي صاحبه هارباً بطفولته و هشاشته و جرحه كولين صديقين في

ميتم العمر...» (السمان، الأبدية لحظة حب ص ٢٧).

و تؤكد ما أشرناه من تأثرها بالغربيين في وجهة نظرها في معالجة حقوق المرأة قائلة:

«لا أريد

أن يكون لرجال العالم ثغرٌ واحد

أقبله و أستريح!» (السمان، أشهد عكس الريح ص ١٠٩).

٢. الرموز المستخدمة للمرأة

إنّ الرمز قضية من قضايا الفن الشعري عند الرومانسيين- مع أنّ شيئاً منه قد حَقَّق في أقدم العصور- و ذلك بعدما فقدت الأشياء و الكلمات بُعدها المقدّس، و حيث صارت الحداثة الأدبية تُعبّر عن إحساس بالضياع و العزلة، و يُفصل الإنسان عن الطبيعة و عن الناس الآخرين و عن الله، فإنّه من خلال الرمز وحده يستطيع الشاعر أن يعبر عن المتعالي و الروحي في التجربة الإنسانية. (بارت، ص ٦) فالرمز يتجاوز الظاهر إلي المضمّر إذ أنّ الشاعر يحتضن الواقع في رمزيته و ينزله في ضميره و يهبه من ثقافته و تجربته حتي يحلّ فيه و يتوحد معه و الرمزية هي احتواء للواقع كله في الروح و منحه البعد الروحي المبدع وحده بالنسبة لجماعة ذلك المذهب. (الحاوي، ص ٦٣) فيمكن أن يقال أنها محاولة لاختراق ما وراء الواقع وصولاً إلي عالم من الأفكار، سواء كانت أفكاراً تعتمل داخل الشاعر بما فيه عواطفه أو أفكاراً تشتمل عليها من عالم مثالي يتوق إليه الانسان و يحققه له الفنان بفنه (تشادويك، ص ١٨).

و كذلك أدب الشاعرتين فروغ فرخزاد و غادة السمان، لا يخلو من هذا الفن؛ حيث استعملتا الرمز في كثير من الأحيان كوسيلة لتحقيق عالميهما الروحية و المثالية كما نجد لديهما رموزاً عن المرأة؛ فنظراً إلي هذا نحاول أن نخترق حجب الألفاظ التي استخدمتاه كرمزٍ عنها لكي ندرك نظرتيهما الحقيقية إلي المرأة و ما تتوقَّعان أن تتوقَّر لها من الظروف الإجتماعية و ...

١٠٢. فروغ

تتخذ فروغ ألفاظاً كالحديقة والتراب و الورود رمزاً للمرأة، (شميسا، ص ١٠٧) فإنّ الحديقة في رأي الشاعر عرض بها الزوال الفكري، و تخلو عن المذكرات المستحسنة دون أن يتنبّه الآخرون اليها:

«لا أحد يفكر في الورود

لا أحد يفكر في الأسماك

لا أحد يريد أن يدرك أنّ الحديقة ستموت

وقد تورّم قلب الحديقة تحت الشمس

و يخلو ذهنها عن المذكرات الخضراء شيئاً فشيئاً»^١ (فرخزاد، ص ٣٥١).

فالحديقة رمزٌ عن الجنّة الأرضية كما هي رمزٌ عن الزرع و الإنجاب و الإنبات (فضايلى، سودابه، ج ٢، ص ٤٤).

أمّا التراب؛ الذي يحتضن أصول النباتات و الأشجار، كمنبتٍ للحياة، فهو الأم للبشر الذين يكوّنهم و يطعمهم و يدفّنهم و لكي يخصب يتوجّب حرث بذره؛ ولكن مع الأسف يستحقروه و يذيقوه الحسرة في نهاية المطاف:

«اعذروها

١. بالفارسية: «كسى به فكر گل ها نيست/كسى به فكر ماهى ها نيست/كسى نمى خواهد/باور كند كه باغچه دارد مى ميرد/كه قلب باغچه در زير آفتاب ورم کرده است/كه ذهن باغچه دارد آرام آرام از خاطرات سبز تهى مى شود.»

لأنّها مسحورة

لأنّ أصولكم المثمرة

تسير في ذرات ترابها

و تورم قلبها الساذج

في زوايا ضلوعها

بصدماتها المؤذية الملتهفة»^١ (فرخزاد، ص ٢٤٩).

وجاء في موسوعة الأساطير أنّ التراب له قداسة كالسماء لأنّه يُعتبر من العناصر الأربعة (الماء و التراب و النار و الهواء) و وسيلة ارتياح البشرية (ياحقي، ص ٢٢٣).
فإنّ فروغ لها نظرة أمّية و أنوثية للمرأة - وهي نظرة لا نجدّها عند غادة السمان أبداً - و تشير إلى دورها التربوي، حيث تستطيع أن تقرّر مصير المجتمع بشخصيتها المؤثرة فعلي المجتمع أن يهتمّ بها حتى تسلّم الأجيال الآتية إليه، فبذلك تنبه شعبها بأن لا يُجدد دور المرأة الرئيسي كما لا يُنكر دور التراب في انبات الحياة البشرية و فيما يبدو من هذه الرموز أنّ الشاعرة قد أحاط بها الإحباط و الإكتئاب كأنّها لا ترجو تحسُّن موقف المرأة في مجتمعها.

٢.٢. غادة السمان

إنّ المفردات التي تسعملها غادة السمان كرمزٍ عن المرأة هي ألفاظٌ كالحصان العربي و السنونو؛ فإن الحصان العربي لا يركع للبخاعة:

«أقف بالرفض

أمام مستنقع الرمال المتحرّكة الشاسع

بين عدن و طنجة...»

١. «بر او ببخشايد/ زیرا که مسحور است/ زیرا که ریشه‌های هستی بارآور شما/ در خاک‌های غربت او نقب

می‌زنند/ و قلب زودباور او را/ با ضربه‌های مودی حسرت/ در کنج سینه‌اش متورم می‌سازند.»

و أعلن أن «لا»

نركع للبشاعة^١ ولن نرضي برؤية الحصان العربي الجميل

بعيداً عن براري الضوء

في اصطبل التدجين...» (السمان، أشهد عكس الريح ص ٢١).

و السنونو^٢ تعيش في حرية كاملة حيث لا تعرف الأسر:

«معك اكتشفت أنّ الربيع لا يجيء

إنّنا إكراماً لسنونو واحد...»

و قبلك كنت أتوهم أنّ السنونو لا يصنع الربيع...» (السمان، الأبدية لحظة حب،

ص ١٥).

وقولها:

«كنت مثل أحمق يحاول تعليم السنونو استعمال البوصلة، أو يحلم بلعب دور مهندس

الصوت داخل صوت بحرية...» (السمان، الأبدية لحظة حب ص ٣٣).

أمّا الحصان العربي شهيرٌ بجودته، كما أنّ الحصان رمزٌ عن الذكاوة و الدهاء. (المرجع

السابق ص ٨٠) و السنونو رمزٌ عن الإنطلاق و الخفة كما يرمز في المراحل المعنوية إلى

الملاك (فضايبي، ج ١ ص ١٩٧).

و الملاحظ أنّ التعابير السابقة لغادة السمان هي ردّة فعل للأفكار السائدة في مجتمعها

العربي، فغادة السمان تريد أن تُلقِي بأنّ المرأة لها شخصية مستقلة حرّة، لا تستحق النظر

إليها نظرة تملّكية فهي قادرة علي قضاء حاجاتها بنفسها، لا تحتاج إلي من يعيّن لها أي نوع

من استراتيجية في حياتها سواء من قبل المجتمع أو الرجل.

١. بشع بالأمر بشعاً و بشاعةً: ضاق به ذرعاً. (راجع لسان العرب، المجلد ٨، ص ١١)

٢. نوع من الخطاطيف، من فصيلة السنونيات؛ عريض المناقير، طويل الذنب، سريع الطيران، يلتهم

الحشرات في الهواء (راجع المنجد في اللغة، ص ٣٥٩)

النتيجة

قد لاحظنا، ممّا سبق، أنّ الأدبيتين؛ فروغ فرخزاد و غادة السمان سلكتا طريقاً واحدة في تسيير أهدافهما و العثور عليها حيث اتخذتا الشعر وسيلةً لكي تكونا مرآة صادقة لحياتهما كممثلتين عن المرأة، و قد قامتا في الدفاع عن حقوقها الضائعة أمام جميع التّحفظات القائمة في مجتمعهما الذكوري عن طريق تعبيرهما الصريحة فأقدمتا بجرأة مدهشة علي تمزيق أستار الحياء التي كانت تتوشح بها المرأة كأنثي و حاولتا تشجيعها على كسر القيود الإجتماعية عنها و تحريرها. فقد تنطوي الشاعرة الإيرانية علي نفسها في هذا السبيل، و تصيب باليأس و الملل، بينما لا تفقد غادة السمان روح الكفاح أبداً.

و لا يخفى علينا تأثرهما بالأدب الغربي، في تصوير القضايا الإجتماعية و تلوين آرائهما بالآراء الغربية و تقويم الحلول لتخلّص المرأة مع أنّ الإسلام قد أوفى حقوقها الكاملة و أبان طروقاً مختلفة لها حتي تعثر علي ما تروم و كان ذلك ردّة فعلٍ لما كانت تعاني منه المرأة آنذاك من ظلم الحكام في البلدين و عدم حرية المرأة في المجتمع في مختلف شؤونه، حيث كان الرجل هو الوحيد القادر على جميع ما يرتبط بالمجتمع حتي معظم ما يرتبط بالمرأة، و المرأة تعيش في قيدٍ يثقل علي عنقها و رجليها و لا بد هناك ممن يصرخ عما يجيش في قلبها و فكرها. غادة السمان و فروغ فرخزاد رفعتا لواء حرية المرأة وإن تعددتا بين حين و آخر عما عيّنه الشرع و الدين تجاه المرأة و حقوقها.

المصادر والمراجع

١. ابن منظور (١٤١٤هـ.ق)، *لسان العرب*. دارُ صادر، بيروت.
٢. بارت، روبرث (١٩٩٢)، *الخيال الرمزي*، ت: عيسى الي العاكوب، معهد الإنماء العربي، بيروت.
٣. الحاوي، ايليا (١٩٨٦)، *في النقد و الأدب، الجزء الخامس*، دارالكتب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية.
٤. سال شمار فروغ فرخزاد، ماهنامه «فردوسي» العدد ٦٢ و ٦٣، اسفند و فروردين ١٣٨٧
٥. السمان، غادة (١٩٩٢)، *أشهد عكس الريح، منشورات غادة السمان*، بيروت، الطبعة الثانية.
٦. السمان، غادة (١٩٩٩)، *الأبدية لحظة حب، منشورات غادة السمان*، بيروت، الطبعة الأولى.
٧. السمان، غادة (٢٠٠٤)، *محاكمة حب، منشورات غادة السمان، الأعمال غير الكاملة ١٥*، بيروت، الطبعة الأولى.
٨. شادويك، تشارز (١٩٩٢)، *الرمزية*، ت: نسيم إبراهيم يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٩. شميسا، سيروس (١٣٧٦)، *نكاهي به فروغ، منشورات مرواريد*، الطبعة الثالثة.
١٠. شوقي، أحمد (١٩٨٥)، *الشوقيات*، دارالكتب العلمية، الجزء الأول، الطبعة الأولى.
١١. الطريحي، فخر الدين (١٣٧٥)، *مجمع البحرين. انتشارات مرتضوي*، الطبعة الثالثة.
١٢. فرخزاد، فروغ (١٣٨٣)، *الديوان، منشورات شادان*، طهران.
١٣. فضايلي، سودابه (١٣٧٨)، *فرهنگ نمادها، منشورات جيحون*، الطبعة الأولى.
١٤. مختاري، محمد (١٣٧٨)، *انسان در شعر معاصر، منشورات طوس*، طهران، الطبعة الثانية.
١٥. مدني، نسرين (١٣٨٥)، *در كوجه هاي خاكي معصوميت، دار نشر چشمه*، طهران، الطبعة الأولى.
١٦. مشكين فام، بتول (١٣٨٦)، *غادة السمان بين المكونات الشخصية و المكانة الإبداعية*، فصلنامه علوم انساني دانشكاه الزهراء، طهران، العدد ٦٧.
١٧. معلوف، لويس (١٩٩٨)، *المنجد في اللغة*، دارنشر بلاغة، قم، الطبعة ٣٥.
١٨. ياحقي، محمدجعفر (١٣٧٥)، *فرهنگ اساطير و انتشارات داستاني در ادبيات فارسي*، سروش، الطبعة الثانية.